الباب الثاني
المعتذرون في القرآن الكريم

الفصل الأول: اعتذار الأنبياء إلى الله عز وجل.

مقدمة في قصص الأنبياء

....

المبحـــث الأول
اعتذار آدم عليه السلام

تتكرر قصة اعتذار آدم عليه السلام في القرآن في ثلاثة مواضع، وفي كل مواضعها تقترن بأمر الملائكة وإبليس بالسجود لآدم عليه السلام ثم وسوسة الشيطان لآدم واستجابة آدم له، ثم اعتذار آدم لربه، وتختلف المواضع اقتضاباً وبسطاً، فجاءت في البقرة إيجازاً وفي الأعراف إيضاحاً وفي طه بياناً لسبب اعتذاره، وعند النظر والتدبر نجد أن القصة أوجزت في سورة البقرة المدنية، بعد أن فصلت واتضحت في سورة طه و الأعراف المكيتان، وقد سلكت سورة طه في قصة اعتذار آدم عليه السلام مسلكاً خاصاً فلم يكن فيها حديث عن الخلق وبدايته أو مجرى حوار من الله للملائكة أو إبليس، كما كان في سورة البقرة والأعراف، بل بدأت الآيات الكريمة بقوله سبحانه ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾[طه:115]، وهذه براعة استهلال يتشوق إلى ما حدث بعدها من قصة آدم عليه السلام، وقد أشارت الآية إلى أن التركيز في هذه القصة على خطأ آدم عليه السلام، ثم أخذت الآيات بالتفصيل فيما حدث، ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧﴾[طه:117] فوجه الله سبحانه الخطاب لآدم عليه السلام أولاً ﴿عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ﴾ثم

ركز الشقاء على آدم أيضاً ليكون أكثر حذراً من الشيطان الذي جلس له بالمرصاد بعد أن طرد من رحمة العزيز الغفار، لكن الشيطان بذل كل ما في وسعه ليغويه، و عرف مواطن الضعف فيه﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ١٢٠﴾[طه:120] و إتماماً للإغواء أكد لهما مقسماً أنه ناصح لهما و قد جاء ذلك في الأعراف.

و نلحظ في سورة طه أن التركيز على آدم عليه السلام﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ١١٧إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ١١٨وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ١١٩﴾[طه: 117- 119] ، بخلاف ما كان في سورة الأعراف فقد كان الخطاب لهما معاً، أما في البقرة فقد جاءت الصيغتين، فجاءت بعض الآيات خطاباً لآدم عليه السلام وحده، وبعضها لهما جميعاً.

وفي النهاية ظفر الشيطان بمقصوده﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾[طه:121]، لحكمة أرادها الله سبحانه، ثم امتن الله على آدم بالهداية فقدم توبته واعتذاره ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾[طه:122]، فنادى آدم ربه بنداء الاعتذار بكلمات تلقاها من ربه جاءت في سورة الأعراف[1]، يقول الطبري[2] في قوله تعالى﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾[البقرة:37]قال: لقاها هذه الآية: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[الأعراف:23]، فقبل الله توبته واعتذاره.

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾[طه:122،121]، لكن أهبطهما الله من الجنة إلى الأرض وكتب بينهما و بين إبليس العداوة المستمرة.

---

[1] ينظر: المحرر الوجيز (1/ 6)، تفسير المراغي (8/ 121)، قصص القرآن الكريم لفضل عباس(128. 129).

[2]جامع البيان (1/ 542).

شذرات في اعتذار آدم عليه السلام:

1. يظهر لنا من خلال ما سبق ثلاثة أصناف من حيث الوقوع في الخطأ:

- الملائكة معصومون عن معصية الله.
- إبليس مطرود من رحمة الله مصر على المعصية، معرض عن التوبة.
- الإنسان الذي تتصارع فيه قوى الخير والشر، مجبول على الخطأ والزلل، مأمور بالتوبة والاعتذار.

2. ينبغي للإنسان إذا وقع في ذنب أن يبادر إلى الاعتراف والاعتذار، يقول السعدي رحمه الله: " ينبغي للعبد إذا وقع في ذنب أن يبادر إلى التوبة والاعتراف، ويقول ما قاله الأبوان من قلب خالص، وإنابة صادقة؛ فما قص الله علينا صفة توبتهما إلا لنقتدي بهما فنفوز بالسعادة، وننجو من الهلكة"[1]
3. أن آدم عليه السلام لما لم يستغن عن الاعتذار مع علو شأنه فالواحد منا أولى بذلك، وفي اعتذاره موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية التنصل من الخطأ.
4. ظهور لغة الاعتذار الصادق في كلمات آدم عليه السلام من إحساس عميق بظلم أنفسهما مصحوباً بضراعة إلى الله تعالى أن يغفر لهما ويرحمهما، ولا يكتفيان بها، بل يطلبان مع المغفرة أن يتغمدهما الله برحمته، ولئن لم تكن المغفرة والرحمة ليكونن من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم بظلمهم لها، وذلك هو الخسران المبين.
5. سرعة مبادرة آدم عليه السلام بالاعتذار دعوةٌ إلى ذلك، كما أن استفتاح آدم عليه السلام اعتذاره بلفظ الربوبية، دعوةٌ لاستفتاح الاعتذار بأفضل الألفاظ.
6. بسط الأمل لبني البشر للاعتذار بالنسيان في الالتزام بالتكاليف، فإنما نحن أبناء آدم ويعترينا من النسيان ما يعتري أبونا وزيادة.

---

[1] قصص الأنبياء للسعدي(19).

7. هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض بعد خطئه وقبول اعتذاره، إشارةٌ إلى أنه قد يقبل الاعتذار مع عدم بقاء الحال على ما كان.

8. من أشبه آدم بالاعتراف والاعتذار إذا صدرت منه الذنوب اجتباه ربه وهداه، ومن أشبه إبليس إذا صدر منه الذنب فإنه لا يزداد من الله إلا بُعدًا، فهو مستمر على طغيانه غير مقلع عن عصيانه.

إشارات في قصة اعتذار آدم عليه السلام:

1. يظهر والله أعلم أن الجنة التي أخرج منها آدم هي جنة الخلد، وقد استفاض البحث في المسألة والذي عليه الجمهور أنها جنة الخلد[1]، ومن أقوى أدلتهم ما رواه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم).[2]

2. قد يثير العجب ما وقع من آدم عليه السلام من الخروج عن أمر ربه، و برمة الأمر أن الله كتب ذلك وقدّره لحكمة يريدها سبحانه، يقول الرازي:"واعلم أن واقعة آدم عجيبة وذلك لأن الله تعالى رغبه في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله: ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ١١٨وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩﴾ [طه: 117- 119] ورغبة إبليس أيضا في دوام الراحة

[1] انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (69/4).

[2] الحديث: رواه مسلم في صحيحه (195)كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها(1/ 186).

بقوله: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ﴾ وفي انتظام المعيشة بقوله: ﴿وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ فكان الشيء الذي رغب الله آدم فيه هو الذي رغبه إبليس فيه إلا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراس عن تلك الشجرة وإبليس وقفه على الإقدام عليها، ثم إن آدم عليه السلام مع كمال عقله وعلمه بأن الله تعالى مولاه وناصره ومربيه أعلمه بأن إبليس عدوه حيث امتنع من السجود له وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته، كيف قبل في الواقعة الواحدة والمقصود الواحد قول إبليس مع علمه بكمال عداوته له وأعرض عن قول الله تعالى مع علمه بأنه هو الناصر والمربي، ومن تأمل في هذا الباب طال تعجبه وعرف آخر الأمر أن هذه القصة كالتنبيه على أنه لا دافع لقضاء الله ولا مانع منه، وأن الدليل وإن كان في غاية الظهور ونهاية القوة فإنه لا يحصل النفع به إلا إذا قضى الله تعالى ذلك وقدره".[1]

3. اقتصار الشيطان على التسويل لآدم، لعلمه بأن اقتداء المرأة بزوجها مركوز في الجبلة، يقول ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾[طه:122،121] "ورود إثبات العصيان لآدم دون زوجه يدل على أن آدم كان قدوة لزوجه فلما أكل من الشجرة تبعته زوجه".[2]

المبحث الثـــــــــــــاني

اعتـــــــــــذار نوح عليه السلام

---

[1] مفاتيح الغيب (22/ 107).

[2] التحرير والتنوير (16/ 327)

جاءت قصة نوح عليه السلام نبراساً للقصص القرآني في عشر سور مكية، في كل موضع منها إشارةٌ تضفي إلى شخصية نوح عليه السلام صبغةً جديدةً، ولكن سورة هود استأثرت بتفصيلٍ مطول عن من قصته، يشبه من حيث الطول ما جاء في سورة نوح التي سميت باسمه صلى الله عليه وسلم، والحق أن في قصة نوح في سورة هود دروساً هادية هادفة، تظل نبراساً مهما تباعد الزمن، وتطاولت الدهور، فلقد فصلت السورة الشبهات التي جابحه بها قومه كما فصلت الرد عليها، ثم حكت تفاصيل نهاية قومه ومن سبق عليه القول من أهله، ثم انتهت القصة بثلاث آيات في مسألة فرعية لا من صلب القصة وأصول وقائعها، فقد انتهت بموقف تربوي إيماني، قدم فيه نوح عليه السلام اعتذاره لربه، تفردت به سورة هود ولم يتكرر هذا المعرض في سورة أخرى، وقد صبغ نوح عليه السلام هذا الاعتذار صبغةً فريدةً.

ذلك أنه حينما نفذ أمر الله أقلعت السماء وتوقف نزول الماء، وخضعت الأرض وابتلعت تلك الأمواج العاتية، وأنجز الله ما وعد نوحاً من إهلاك قومه، نادى نوح عليه السلام الشديد الذي قال:﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾[نوح:26]، ربه بنجاة ابنه ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾[هود:45]، حيث التبس عليه الأمر بنجاة ابنه[1]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ "ظاناً أنه دخل في جملة من وعد بنجاتهم"[2]، وقد راعى نوح عليه السلام مع ذلك الطلب أدب الحضرة الإلهية وحسن السؤال، فقال: ﴿ وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ ﴾ ولم يقل إنك لم تخلف الميعاد، ثم رد الأمر إلى العالم العادل الحكيم في تدبيره، فجاءه التنبيه العاتب من ربه ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾[هود:46]، حينها أدرك نوح أنه قد زل في حق ربه فقدم بديع اعتذاره﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾[هود:47]، يقول فيه

[1] ينظر: البداية والنهاية (127/1)، تيسير المنان في قصص القرآن(50).
[2] تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية(543/3).

الخازن:" ألجأ إليك وأعتذر إليك﴿أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾ إنك أنت علام الغيوب وأنا لا أعلم ما غاب عني فأعتذر إليك من مسألتي ما ليس لي به علم ﴿ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي ﴾ يعني: جهلي وإقدامي على سؤال ما ليس لي به علـــــــــم

﴿ وَتَرۡحَمۡنِيٓ ﴾ برحمتك التي وسعت كل شيء ﴿ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾"[1]، فاستعاذ بالله والمستعيذ طالب، والطالب راجٍ وطامع في نيل المطلوب من أن يسأله سبحانه ما لا علم له يقيناً بصحته، خروجاً من حوله وقوته في اتقاء ما يغضب ربه فيما يستقبل من أمره، وتأدباً واتعاظاً بموعظته سبحانه، وهذا اعتذار من نوح عليه السلام وإنابةً لربه وتسليمٌ لأمره، ختمها بطلب المغفرة ثم الرحمة من ربه وإن لم يكن ذلك باءت الخسارة وعظمت، فقبل الله اعتذاره وأحل عليه غفرانه وأضفى عليه بركاته هو والصالح من نسله ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ ٤٨﴾[هود:48].

شذرات في اعتذار نوح عليه السلام:

1. استفتاح نوح عليه السلام اعتذاره بنداء الربوبية استجلاباً لإحسان الرب و غفرانه.
2. مبادرة نوح عليه السلام بالاعتذار، فور عتاب الله له وظهور الحق لديه، مما يدل على ندمه ورغبته في الخروج من خطئه، وذلك خلق الأنبياء الذي ينبغي أن يقتدى به.
3. حصر نوح عليه السلام اعتذاره فيما ليس له به علم، دليل على أن ما كان منه

---

[1] لباب التأويل في معاني التنزيل (2/ 488).

اجتهاد بنية صالحة، كما أن استجارته بالله من أن يعصيه في مستقبل الزمن فيما ليس له به علم و عدم حصر تعوذه فيما صدر منه من ذنب مبالغةً في الاعتذار.

4. استعاذة نوح عليه السلام من أن يعصي الله فيما ليس له به علم إشارةٌ إلى أن ذلك أمراً محذوراً لا مفرَّ منه إلا بالعوذ بالله سبحانه.

5. تفرد نوح عليه السلام ببديع اعتذاره بالقرآن، في التوبة مما مضى والاستعاذة مما هو آت.

6. حمل اعتذار نوح عليه السلام معاني عظيمة، ولهجة صادقة، استجلب بها قبول الله وامتنانه هو والصالح من نسله.

إشارات في قصة اعتذار نوح عليه السلام:

- ما كان من سؤال نوح عليه السلام لربه في أمر ابنه لم يكن معصية، يقول محمد رشيد:" أن سؤال نوح – عليه السلام – ما سأله لابنه لم يكن معصية لله – تعالى – خالف فيها أمره أو نهيه، وإنما كانت خطأ في اجتهاد رأي بنية صالحة، وإنما عدها الله – تعالى – ذنبا له لأنها كانت دون مقام العلم الصحيح بمنزلته من ربه، هبطت بضعفه البشري وما غرس في الفطرة من الرأفة والرحمة بالأولاد إلى اتباع الظن"[1]

- أن الإيمان والصلاح لا علاقة له بالأنساب، وقد يختلف باختلاف استعداد الأفراد، وما يحيط بهم من الأسباب، ولو كان بالوراثة لكان جميع ولد آدم كأبيهم، غاية ما يقع منهم معصية تقع بالنسيان أو العجز، ثم لكان سلائل أبناء نوح المؤمنين الذين نجوا معه في السفينة كلهم مؤمنين صالحين.

---

[1] تفسير المنار (12/ 72).

المبحث الثالث

اعتذار يونس عليه السلام

أول إشارة تحدثت عن قصة اعتذار يونس ذا النون عليه السلام[1] جاءت في سـورة نون، وهي السورة التي جاءت تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، قال سبحانه: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩﴾[القلم:49.48]، وفي هذه الآية إشارة إلى القصة من غير تفصيل أو بيان لماهية الأمر والأسباب، وهي إشارة تتوق النفوس وتتشوق إلى ما سيأتي بعدها من تفصيل، وقبل أن ننتقل إلى تفصيلها، نقف على بديع التعبير القرآني في الإشارة إلى حفظ الله ليونس عليه

---

[1] ذا النون، يعني صاحب النون. والنون: الحوت. وإنما عنى بذي النون: يونس بن متى، تفسير جامع البيان (16/ 374)

السلام وعنايته بأوليائه في هذه الآيات، فقد جاء التعبير عن يونس عليه السلام بصاحب الحوت ومن المعلوم أن الصاحب في اللغة بمعنى: مَحْفُوظ. وَمِنْه قَوْلهم: لَا صَحبه الله أَي لَا حفظه. وَيُقَال: بأَهْله صُحْبَة الله، وَصَاحبه أَي حفظه.[1]

ثم تأتي سورة الصافات لتبين جزءاً كبيراً من موقف يونس عليه السلام﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤﴾[الصافات:139،144]، فقد دعى قومه فأبوا، وكرر عليهم فأبوا، فوعدهم العذاب وخرج من بين أظهرهم، ولم يصبر الصبر الذي ينبغي، ولكنه أبق مغاضباً لهم، فركب في سفينة موقرة من الركاب والأحمال، فلما توسطوا البحر شارفت على الغرق، ودار الأمر بين أن يبقوا جميعاً فيهلكوا، وبين أن يلقوا بعضهم بمقدار أن تخف السفينة فيسلم الباقون، فاختاروا الأخير لعدلهم وتوفيقهم، فاقترعوا فأصابت القرعة أناساً منهم، ومنهم يونس عليه السلام، ولهذا قال: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴾ أي المغلوبين في القرعة، فألقوه فالتقمه الحوت وهو على حالٍ يلام عليها لاستعجاله في ترك قومه، ولكن عناية الله أحاطت به فلم يكسر له عظماً ولم يمضغ له لحماً، وهكذا عناية الله بعباده المؤمنين وبأنبيائه خاصة، ألم تأتي النار على إبراهيم برداً وسلاماً[2]، ولذلك عبر عنه بالالتقام ﴿ فَٱلۡتَقَمَهُ ﴾، كنايةً عن أكله من غير مضغ، وفي اللغة يقال: (الْتَقم) الشَّيْء بلعه،(لَقِم) الشَّيْء لقما أكله بِسُرْعَة. [3]

وحين أصبح في بطن الحوت أدرك خطأه، فنادى ربه، وأحدث التوبة والاعتذار كما جاء في سورة الأنبياء، قال سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي

---

[1] جمهرة اللغة (1/ 280).

[2] تفسير جامع البيان(16/ 384)، التحرير والتنوير (1/ 67)، تفسير تيسير الكريم الرحمن (ص: 529،707).

[3] المعجم الوسيط (2/ 835)

ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾[الأنبياء:87 ـ 88]، فقد خرج يونس عليه السلام وظن أن لن يضيق الله عليه في أمر قومه، وسيختار له ما هو أفضل، فلما أن حدث ما حدث في السفينة وعلى البحر، فصار في جوف الحوت نادى ربه نداء الفقير الذليل لعلمه بخطئه ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، نادى ربه بنداء الألوهية، الذي لا يعبد إلا إياه ولا يسأل غيره، يقول شيخ الإسلام في قوله تعالى: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ "يتضمن البراءة مما سوى الله من الآلهة الباطلة سواء قدر ذلك هوى النفس أو طاعة الخلق "[1]، لفعله ما يلام عليه، فناسب هنا أن يعترف بأنه لا إله إلا الله، ، للبراءة من نفسه، والنجاة من شباكها، وذلك بإخلاص العبودية لله، والبراءة من كل شيء، حتى من نفسه هذه، والاستسلام لله الذي لا إله إلا هو، ثم قال ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لله عن كل ما لا يليق به، فكانت إتماماً لما قبلها في الاعتذار إلى الله، ثم اعترف بظلمه لنفسه ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يعترف فيها بحقيقة حاله، ويعترف بذنبه، يقول شيخ الإسلام في قوله تعالى: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾" اعتراف بالذنب، وهو يتضمن طلب المغفرة، فإن الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب، وتارة يسأل بصيغة الخبر" ومن هنا قبل الله توبته واعتذاره، ونجاه من بطن الحوت، وامتن عليه بظل اليقطين، تظله بظلالها الباردة، وتحفظه من الحشرات، وقد قال ابن أبي الصلت قبل الإسلام في ذلك بيتا من شعر :

فأنبت يقطينا عليه برحمةٍ***** من الله لولا الله أصبح ضاوياً[2]

وهذا من لطفه وكرمه سبحانه، ثم امتن عليه مرة أخرى بأن أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون، فدعاهم إلى الله تعالى، حتى صاروا في موازين أعماله[3].

هكذا جاءت قصة يونس عليه السلام في عدة سور، متسقة الحلقات، مرتبة الحوادث، ختمت بتعقيب هادف ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.

---

[1] تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية (4- 378).

[2] البداية والنهاية(256/1).

[3] ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص: 707).

شذرات في قصة اعتذار يونس عليه السلام:

1. الحق أن اعتذار يونس عليه السلام حقيقٌ بالدرس، فقد جاء موجزاً مجملاً لطيفاً، ينضب أدباً وتقديراً لله، وقد عاش بهذا الاعتذار حقيقة أن لا إله إلا الله، واستشعر أن لا إله إلا الله، وأدرك فعلاً أنه لا نافع ولا ناصر إلا الله، فنطق بها لسانه، واستحضرها قلبه، وعاشها بكيانه.

2. أن اعتذار يونس عليه السلام جاء بصيغة الخبر المتضمن للسؤال، وهذا من باب حسن الأدب في السؤال؛ لما فيه من إظهار حاله على وجه الذل والافتقار، ولذلك جاء في حديث سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له ".[1]

3. في وصف يونس عليه السلام في سورة الصافات بأنه من المسبحين، إشارة إلى سبب نجاته، وقد جاء في تفسيرها عدة أوجه: أحدها: من القائلين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، قاله الحسن. الثاني: من المصلين قاله ابن عباس. الثالث: من العابدين ، قاله وهب بن منبه،[2] والحقيقة أياً كان تفسيرها فهو إشارة إلى أن العمل الصالح شفيع لصاحبه موجباً لقبول اعتذاره.

4. في خاتمة قصة اعتذار يونس عليه السلام تقرير لحقيقة ايمانية مطردة: أن العبد إذا كان له مقدمة صالحة مع ربه، كان ذلك سبباً لقبول اعتذاره ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، وفي هذه الآية يقول ابن عثيمين:" ترغيب المؤمنين في الإيمان، بالثبات

---

[1] الحديث: رواه الترمذي كتاب الدعوات، ح (529/5)، و صححه الألباني.

[2] النكت والعيون (5/ 67).

عليه والازدياد منه".[1]

5. في الآيات دليل على قبول الله لاعتذار يونس عليه السلام، منها ما كان صريحاً كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾، ومنها ما كان مفهوماً من خلال الآيات:

- قوله تعالى: ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ المعنى: أنه نبذ بالعراء وهو غير مذموم ولولا رحمة الله عز وجل لنبذ بالعراء وهو مذموم،[2] وهذا دليل على قبول معذرته.
- كما يدل قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤٤﴾ وقد بيّناه سابقاً أن التسبيح كان سبباً لقبول اعتذاره، وخروجه من بطن الحوت.
- لطائف الله التي أحاطت به بعد نبذه بالعراء، فقد أنبت الله عليه شجرةً من يقطين لترد عنه كثير من الغوائل، وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون، فاستجابوا له بنعمة من الله وفضل منه.

إشارات في قصة اعتذار يونس عليه السلام:

- نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يفضل أحدٌ منا نفسه على يونس عليه السلام، عن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى)[3] تشديد أن يقع تنقيص له في نفس من

---

[1] تفسير العثيمين (المقدمة/ 58)

[2] ينظر: تفسير القرطبي (15/ 129).

[3] الحديث: رواه البخاري في صحيحه(3395)كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى(وهل أتاك حديث موسى) (4/ 153)، ورواه مسلم في صحيحه(43)كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام(1846/4)

سمع قصته فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة.[1]

- ما تضمنته قصة ذي النون مما يلام عليه كله مغفور، بدَّله الله به حسنات، وكان حاله أفضل من قبل أن يكون ما كان، والاعتبار بكمال النهاية، لا بما جرى في البداية، والأعمال بخواتيمها.[2]

المبحث الرابع

اعتذار موسى إلى الله

المطلب الأول: اعتذار موسى إلى الله حينما طلب رؤيته.

تميز موسى عليه السلام عن سائر الأنبياء والرسل بأنه كليم الله، كلمه ربه في طور سيناء، وأنزل عليه التوراة المتضمنة للرسالة والتشريع ودستور الحياة، وتمت المكالمة بعد أن أخبر الله نبيه عن موعد محدد يتهيأ فيه للمناجاة، فتم ميقات ربه بعد أربعين ليلة . وفي هذا احتفاء بموسى وتكريماً له . فناداه سبحانه وقربه وأدناه، وهذا مقام رفيع ومعقل منيع ومنصب شريف، أدرك فيه موسى عليه السلام ما خصه الله به من الكرامة والفضل، وتاقت نفسه إلى مزيد من الفضل، واستشرفت نفسه إلى أن يرى الله بعينيه، ليجمع الفضل من طرفيه، طرف السمع وطرف البصر ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾[الأعراف:143] بأن تكشف الحجب عني، حتى أنظر إلى ذاتك المقدسة من غير واسطة، كما أسمعتني كلامك من غير واسطة، حينها جاء الرد الحاسم: ﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾[الأعراف:143] والجبل أمكن وأثبت من الكيان

---

[1] عون المعبود وحاشية ابن القيم (12/ 279).

[2] تفسير شيخ الإسلام (6/ 384).

البشري، لكنه لم يتحمل لمحة من لمحات الذات الإلهية، فساخت نتوءاته فبدا مستويّ بالأرض مدكوكاً،﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ ﴾[الأعراف:143]، مغشياً عليه، فلما أفاق ثاب إلى نفسه واستشعر أنه تجاوز المدى بسؤاله﴿ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الأعراف:143]، تنزهت وتعاليت أن ترى بالأبصار وتدرك، وفي تصدير توبته بـ : "سبحانك" اعتذار لله عن تجاوز المدى في السؤال ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ تأكيد للاعتذار، وأكثر المفسرين على أن المراد بأول المؤمنين: أن الله لا يرى في الدنيا، لا أنه غير ممكن في نفسه، وغير واقع ألبتة.

حينها أدركت موسى عليه السلام رحمته سبحانه، وزاده الكريم ببشرى الاصطفاء مع التوجيه له بالرسالة إلى قومه، ولا شك أن ذلك من أعظم النعم.[1]

شذرات في اعتذار موسى لله عز وجل عن طلب رؤيته:

1. قول سبحانك تنزيه لله عما لا يليق به، واعتذار له، وقد تصدرت اعتذار الملائكة ويونس وموسى عليهما السلام لله عز وجل، تنزيهاً لله عما أقدموا عليه في حقه سبحانه.
2. مبادرة موسى عليه السلام بالاعتذار لدلالة قوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾، فإن "لما" من أدوات الشرط الغير جازمة، تفيد الظرفية الزمانية، وتسمى حرف وجود لوجود، فلما وجدت الإفاقة وجد الاعتذار، وسبق الأداة بالفاء الدالة على الترتيب والتعقيب، دلالة على أنه فور الإفاقة حدث الاعتذار.
3. تأكيد الاعتذار بعدة معاني"تبت إليك" "أول المؤمنين" وفي هذا إشارة إلى:

ندم موسى عليه السلام وصدق اعتذاره، والرغبة الشديدة في العفو والصفح عما بدر منه، وفي هذا الاعتذار لموسى عليه السلام إلماحةٌ إلى أن من موجبات قبول الاعتذار تكرير

[1] ينظر: تفسير السمعاني (2/ 213)، زاد المسير في علم التفسير (2/ 152)، تفسير المنار (9/ 110).

معاني وعبارات الاعتذار في الوقت الواحد حتى يتسنى القبول.

4. قبول الكريم سبحانه لاعتذار نبيه والامتنان عليه بالكتاب والرسالة، وهذا حال الكريم إذا عفى وقبل الاعتذار.

المطلب الثاني: اعتذار موسى لله عن قومه:

لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل، وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضا كما أمرهم به، أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بنى إسرائيل، يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعدا، فاختار موسى قومه سبعين رجلا من قومه، ثم ذهب بهم ليعتذروا، فقالوا لن نؤمن حتى نرى الله جهرة، فأخذتهم الرجفة وماتوا، حينها أدرك موسى خطورة الأمر وهول ما جرى، فقام ينادي الله بنداء الربوبية، ويناشده ويرغب إليه، بالمعاني المتنوعة للاعتذار، فاستفتح اعتذاره أولاً بقدرة الله المطلقة بإهلاك القوم بمن قبل أن يقتربوا من هذه الحضرة المقدسة، فكيف بهم وهم في هذه الحضرة المقدسة فالرحمة أولى، ثم قدّم اعتذاره بأسلوب الاستفهام استعطافاً واستجلاباً لعفو الله، بأن ما صدر كان عن سفهاء الأحلام وضعفاء العقول، ثم استأنف الاعتذار بعبارة أخرى، في بيان منشأ غلطهم، فما الفتنة التي وقعوا فيها، وقالوا فيها ما قالوا، إلا فتنتك وابتلاؤك، فمن حضره عقله ورشده نجى ولم يزل مستقيماً، وأما من ضعف عقله وسفه رأيه وصرفته الفتنة فهو الذي فعل ما فعل، ومع هذا كله فأنت ولينا، أرحم الراحمين وخير الغافرين، فاغفر لنا وارحمنا، فأجاب الله اعتذاره وأحياهم بعد موتهم، وغفر لهم.[1]

شذرات في اعتذار موسى لله عن قومه:

---

[1] ينظر: جامع البيان(13/ 141)، تفسير البغوي(2/ 237)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (8/ 102)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (3/ 277).

1. تتعدد معاني وصيغ الاعتذار في اعتذار موسى لله عن قومه ما بين:

- تذكير بالعفو السابق لاستجلاب العفوِ اللاحق، فالاعتراف بالذنب وشكر المنعم مما يستجلب العفو، يعني إنا كنا مستحقين للإهلاك ولم يكن من موانعه إلا عدمُ مشيئتِك إياه فحيث لطفت بنا وعفوت عنا من قبل فاللطف بنا الآن.
- الاعتذار، جاء بصيغة الاستفهام زيادةً في الاستعطاف، للعفو وقبول الاعتذار، أي يارب إنه لمستبعد على رحمتك أن تهلكنا بما فعل السفهاء من قومنا، يقول السعدي:"فتضرع إلى الله واعتذر بأن المتجرئين على الله ليس لهم عقول كاملة، تردعهم عما قالوا وفعلوا"[1]،وفي ذلك يقول ابن القيم:" أن هذا استعطاف من موسى عليه السلام لربه، وتوسل إليه بعفوه عنهم من قبل، حين عبد قومه العجل، ولم ينكروا عليهم. يقول موسى: إنهم قد تقدم منهم ما يقتضى هلاكهم. ومع هذا فوسعهم عفوك ومغفرتك، ولم تهلكهم، فليسعهم اليوم ما وسعهم من قبل".[2]
- استئناف للاعتذار بمعنى آخر، بأن ما وقع ما هو إلا فتنة وابتلاء يهدي الله بها من يدركون طبيعتها ويأخذونها على أنها ابتلاء من ربهم فيجتازونه صاحين عارفين، ويضل الله بها من لا يدركون ذلك فيمرون بها غافلين، ويخرجون منها ضالين، يقول ابن جزي:"هذا اعتذار عن فعل السفهاء، فإنه كان بقضاء الله ومشيئته".[3]
- ثم يرجع إلى الاستعطاف مرة أخرى، يثني فيها على الله ويلتجأ إلى رحابه

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (ص: 304).

[2]إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (2/ 307)

[3] التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 304).

ويطلب منه التجاوز عن الزلة وأن يشملهم بالرحمة.

ومن هذا ندرك أن الاعتذار قد تتعدد صيغه وأساليبه في الموقف الواحد، استجلاباً للقبول، وإظهاراً للندم والصدق في الاعتذار، وهذا من براعة الاعتذار كما كان من موسى عليه السلام.

2. قد يتولى الاعتذار غير صاحبه، لمصلحة ترجى في ذلك، أو لعدم قدرة صاحبه على الاعتذار، كما حدث من موسى عليه السلام حينما هلك قومه وأخذتهم الرجفة.

المطلب الثالث: اعتذار موسى إلى الله حينما قتل نفسا بغير حق.

اعتذار موسى عليه السلام عن القتل كان أول اعتذار نص عليه القرآن في حياته، كان في مرحلة فتوه وشبابه، حينما كان تحت ملك فرعون وسلطانه، وقبل أن يكرم بنبوته، وقد جاءت الإشارة إليه في سورة الشعراء الجامعة لقصص الأنبياء، من غير بيان لسبب قتله لهذه النفس، ولا أي إيضاح، ولكن في سورة القصص جاء الخبر في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾[القصص:15]، حيث دخل المدينة على حين غفلة من أهلها، قيل في وقت راحتهم وقيلولتهم، وقيل مابين المغرب والعشاء، فوجد في المدينة رجلان يقتتلان، أحدهما من بني اسرائيل شيعة موسى عليه السلام، والآخر من أعدائهم القبط، فطلب الإسرائيلي الغوث من موسى عليه السلام، فأجابه موسى عليه السلام، فوكز القبطي، أي ضربه بجمع كفه فقضى عليه، فندم موسى عليه السلام على هذه الحادثة واستحيى من ربه الذي أكرمه ونجّاه، وأحسن إليه وأتاه ورعا، وحكماً وعلماً، فندم في الحال وقال:﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾، لأنه لم يؤمر بقتله، ولم يكن يقصد قتله والقضاء عليه، ثم أتبع ندمه باعتذاره فقال:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ

لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[القصص:16]، ولم يكتف موسى عليه السلام بذلك، بل أقسم وأخذ على نفسه عهداً عليه أنه لن يكون ظهيراً للمجرمين.[1]

شذرات في اعتذار موسى عليه السلام عن القتل:

1. النفس المؤمنة تبادر بالاعتذار حينما تدرك أنها وقعت في خطأ، وقد تجلى ذلك في مبادرة موسى عليه السلام بالاعتذار حينما قتل القبطي، وذلك سمة ظاهرة في كل اعتذاراته لله كما سبق وأن أوضحناه.
2. لقد كان الدافع في اعتذاره عن القتل تعظيمه لله وخوفه منه، وإلا فقد كان الأمر مستوراً والنفوس غافلة عن قتل القبطي وهذا ما أثبتته الآية.
3. الاعتذار الصادق يتسم بالندم على الخطأ، وهذا ما ظهر في اعتذار موسى عليه السلام حينما التفت به مكائد الشيطان، يقول ابن سعدي: "فندم موسى عليه السلام على ما جرى منه، وقال :﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ ﴾أي: من تزيينه ووسوسته، :﴿ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴾ فلذلك أجريت ما أجريت بسبب عداوته البينة، وحرصه على الإضلال، ثم استغفر ربه :﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦﴾ خصوصا للمخبتين، المبادرين للإنابة والتوبة، كما جرى"[2]، وسيظل هذا الندم يساور موسى عليه السلام حتى قيام الساعة، كما جاء في حديث الشفاعة الصحيح، عند البخاري:(فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب)، وفي لفظ مسلم:(قال: فيأتون موسى عليه

[1] ينظر: جامع البيان ت شاكر (18/ 308)، الكشاف عن حقائق التنزيل (3/ 398)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 280).

[2] تيسير الكريم الرحمن (ص: 613)

السلام، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحيي ربه منها).[1]

4. حكمه على نفسه بظلمه لها، بسبب تزيين الشيطان له، فآية :﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦﴾ بدل اشتمال من قوله: :﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴾، فجزمه بأن ما صدر منه عملاً من عمل الشيطان يشمل بأن ذلك ظلماً لنفسه، ولذلك توجه إلى الله بالاعتراف بخطئه وفرع عنه طلب غفرانه، وقد سماه في سورة الشعراء ضلالاً، واعترف على نفسه بالخطأ.

5. أن الرب سبحانه شكور غفور لمن بادر بالتوبة والاعتذار، وهذا ما أثبتته الآية :﴿ فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦﴾ فجاءت الفاء في﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ للتعقيب أي استجاب استغفاره فعجل له بالمغفرة.

6. شكر المعتذر إليه بالعزم على تنحي الذنب وعدم العودة إليه كما كان من موسى عليه السلام في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[القصص:17] فقوله ﴿ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ ﴾ يجوز أن يكون قسما جوابه محذوف، تقديره: أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة لأتوبنّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين، وأن يكون استعطافا، كأنه قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت عليّ من المغفرة، فلن أكون- إن عصمتني- ظهيرا للمجرمين،[2]وأياً كان فهو شكرٌ من موسى عليه السلام لربه، على إلهامه له بالتوبة والاعتذار وقبوله منه، وهذا من تمام الاعتذار.

[1] الحديث: رواه البخاري في صحيحه(7516)، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:(لما خلقت بيدي)(ص:75)(9/ 122)، و مسلم في صحيحه(193)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها(1/ 180).

[2] ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل (3/ 398)

المبحث الخامس

اعتذار داود عليه السلام

ورد ذكر داود عليه السلام في القرآن عدة مرات، فأحياناً يرد اسمه فقط، وأحياناً مقروناً مع تفضيل الله له بإنزال الزبور عليه، وأخرى في سياق قتله لجالوت، وأحياناً في سياق لعن الكفار من بني اسرائيل، وفي سورة الأنبياء ورد ذكره في الإشارة إلى حكمه وقضائه ثم في الإشارة إلى تسبيحه، ثم في سورة النمل في ذكر ما منحه الله مع ابنه سليمان عليهما السلام من العلم ثم في الإشارة إلى وراثة ابنه سليمان له، وفي سورة سبأ ذكر مرتين، ثم في سورة ص ذكر فيها خمس مرات، وفي هذه السورة ورد اعتذاره لربه.[1]

فقد كان ملكاً قوياً عزيزاً، يسوس ملكه بالحكمة والحزم معاً، أثنى الله عليه بقوته في الدين والبدن، وكثرة عبادته، ودوام رجوعه وأوبته لربه، شاء سبحانه أن يبلوه بما آتاه، فوقع ابتلاؤه في الحكم والقضاء، وكانت عين الله عليه تسوسه وترعاه، وتكشف له ضعفه وخطأه، وتوقيه خطر الطريق وتعلمه كيف يتوقاه، وفي ذات يوم فوجئ نبي الله داود عليه السلام بالمتخاصمين يتسوران عليه المحراب، ففزع منهما، فبادرا يطمئنانه، ويقصان عليه:﴿۞وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣﴾[ص:21ـ 23] فقصا عليه النبأ وطلبا منه العدل في القضاء، فقد كان المدعي عليه لديه تسعةٌ وتسعون نعجة و المدعى عليه لديه نعجة واحدة، فلم يزل به صاحب النعاج ليضم نعجته إلى نعاجه.

---

[1] ولها اسمان سورة صاد؛ لافتتاحها بها، وسورة داود؛ لاشتمالها على قصّته، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (1/ 399).

والقضية كما عرضها عليه المدعي تحمل ظلماً صارخاً مثيراً لا يحتمل التأويل، فما كان من داود عليه السلام إلا أن أصدر الحكم بظلم صاحب النعاج ولم يوجه إليه حديثاً، و م يطلب منه بياناً ، ولكنه مضى بحكمه: ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ ٢٤﴾[ص:24]، مؤكداً حكمه بالقسم المقدر و اللام وقد، مبيناً أن كثيراً من الخلطاء يصدر منهم الظلم، واستثنى الصالحين من عباد الله من ذلك.

حينها أدرك داود عليه السلام أن ما وقع ما هو إلا اختبار وابتلاء من الله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ٢٤﴾[ص:24]، وقد كان عليه ألا يستثار، وألا يتعجل، وألا يأخذ بظاهر قول واحد، قبل أن يمنح الآخر فرصة للإدلاء بقوله وحجته فقد يتغير وجه المسألة كله أو بعضه، وينكشف أن ذلك الظاهر كان خادعاً أو كاذباً أو ناقصاً، فاستغفر و خر راكعاً لربه يعتريه الذُّل و الخضوع[1]: ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩٢٤ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ ﴾[ص:25]،بطبيعته الأوابه التي أثنى الله عليه بها: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧﴾[ص:17]،فقبل الله منه، و زاده من عظيم فضله، بالقرب منه سبحانه، وزيادة الخير له: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٥﴾[ص:25]. [2]

---

[1] ينظر: البحر المحيط في التفسير (9/ 150)، الإكليل في استنباط التنزيل (ص: 221)، في ظلال القرآن (5/ 3018).

[2] هذا ما ورد بيانه في الصحيح من قصة داود عليه السلام، و قد نحى فيها كثير من المفسرين سبلاً شتى، بعيدةً عن الظاهر من النص القرآني، تغص بالإسرائيليات التي لا تليق بنبي الله داود عليه السلام، يقول سيد قطب:" وخاضت بعض التفاسير مع الإسرائيليات حول هذه الفتنة خوضا كبيرا، تتنزه عنه طبيعة النبوة، ولا يتفق إطلاقا مع حقيقتها، حتى الروايات التي حاولت تخفيف تلك الأساطير سارت معها شوطا، وهي لا تصلح للنظر من الأساس"، في ظلال القرآن (5/ 3018)، و من أراد الاستزادة فيما خاضوا فيه أهل العلم، والصحيح من الأقوال فليراجع: الإكليل في استنباط التنزيل (ص: 221)، وتفسير العثيمين(8/589).

شذرات في اعتذار داود عليه السلام:

1. الحقيقة أن قصة داود عليه السلام عجيبة، و مثيرة للعجب؛ لذلك صُدرت بالاستفهام تشويقاً لها، ثم عُبر عنها "بالنبأ" وهو الخبر الذي لا يقال غالباً إلا بالأمر المهم، فهي تحكي سنةً من سنن الله في عباده، سنة الفتنة والاختبار، بل قد يختبر العبد بنعمةٍ شرفه الله بها، كما كان لداود عليه السلام، فليتنبه لذلك، فإن عثر الإنسان في الاختبار، فعليه أن يتوب إلى ربه ويقدم الاعتذار، كما كان من العبد الأواب، وليحذر من أن يمر بها غافلاً ويخرج ضالاً.
2. أن توبة داود عليه السلام، ستبقى أنموذجا في الاعتذار لما تحمله من معاني الذلة والخضوع لرب الأرباب، فبمجرد إدراكه لذنبه أعلن الاعتذار، وقد جاء التعبير بالفاء ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ٢٤﴾[ص:24]لإثبات هذا المعنى، ثم خر من الأعلى إلى الأسفل ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩٢٤﴾[ص:24] خضوعاً وذلاً لربه، والتماساً لعفوه، وندماً على ما كان.
3. أن طبيعة داود الأوابة جعلت اعتذاره أسمى أنواع الاعتذر في القرآن، فلم يجتمع الاعتذار بالقول مع الفعل وهو السجود الذي يمثل أقرب أحوال العبد من ربه في القرآن إلا في اعتذار داود عليه السلام.
4. أن اللطيف سبحانه أحاطه بعفوه و مغفرته، وأسكب عليه فيض رحماته، فامتن عليه بالقرب من مولاه وحسن المآب:﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ٢٥﴾[ص:25] ،وتلك الدرجة العظمى من الرعاية والرضى والتكريم والإنعام.
5. أن كل شخص مفتقرٌ إلى الله، محتاجاً إليه، والكريم سبحانه قد فتح أبوابه لكل من أناب وقدم الاعتذار، فما ضُرب مثل داود إلا ليحتذى به، وهذا من منهج القرآن في التربية والاتعاظ.
6. أن السجود لله توبةً و خضوعاً من سنن المرسلين، وقد جاء عن النبي المختار

صلى الله عليه وسلم شرع ذلك لمن ألم بذنب واختار الإياب، فعن أبي بكر الصديق، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(ما من رجل يذنب ذنبا، ثم يقوم فيتطهر، ثم يصلي، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له)[1]، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ١٣٥﴾[آل عمران:135]، فيشرع لمن أذنب أو أخطأ، أن يصلي ركعتين، يتوسل بهما إلى الله تعالى رجاء أن يقبل توبته، و أن يغفر ذنبه، وهذه الصلاة من ذوات الأسباب، فيجوز أن تصلى في أي وقت.[2]

7. جاء بعد اعتذار داود عليه السلام، هبة الله له إبنه الأواب سليمان عليه السلام، وهذا مما يشير إلى فضل الله سبحانه، وإحسانه إلى عبده داود، بعد خطيئته، واستغفاره وندمه، وقبول الله توبته.

المبحث الســــادس

اعتذار سليمان عليه السلام

لما أثنى الله على داود، وذكر ما جرى له ومنه، أثنى بعدها مباشرة على ابنه سليمان عليهما السلام، فإنه اتصف بما يوجب الحمد، فهو رجاع إلى الله في جميع أحواله، بالتأله و

---

[1] سنن الترمذي، كتاب الصلاة، ح(406)،(2/ 258)، حسنه الألباني.

[2] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ذوات الأسباب كلها تفوت إذا أخرت عن وقت النهي، مثل سجود التلاوة، وتحية المسجد، وصلاة الكسوف، ومثل الصلاة عقب الطهارة، كما في حديث بلال، وكذلك صلاة الاستخارة، إذا كان الذي يستخير له يفوت إذا أخرت الصلاة، وكذلك صلاة التوبة، فإذا أذنب فالتوبة واجبة على الفور، وهو مندوب إلى أن يصلي ركعتين، ثم يتوب، كما في حديث أبي بكر الصديق" مجموع الفتاوى(215/23).

الإنابة والمحبة والذكر والدعاء والتضرع، و الاجتهاد في مرضاة الله، وتقديمها على كل شيئ، و لذا لما عرضت عليه خيله في منتهى أبهتها وجمالها، فهي الصافنات الجياد، التي إن استوقفت كانت على أجمل هيئة ـ تقوم على ثلاثة أرجل وترفع الرابعة قليلاً ـ ، وإن ركضت كانت على أكمل هيئة ـ وهو لجود ـ ، وهذا غاية ما يكون من جمال الخيل، تشاغل بها عن ذكر الله تعالى، حتى توارت بالحجاب﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾[ص:32]، يقول ابن كثير:" قال غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به أنه لم يتركها عمدا بل نسيانا"،[1]فقال ندماً على ما مضى، وتقرباً إلى الله بما ألهاه عن ذكره، وتقديماً لحب الله على حب غيره: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣﴾[ص:33]، فعاتب نفسه على ذلك، وأخذ يواجه الفتنة بضرب سيقانها وأعناقها، جزاء ما أشغلته عن ذكر ربه.[2]

ثم أعقبها سبحانه بفتنة أخرى لسليمان عليه السلام، تحكي إنابته: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ٣٤﴾[ص:34]، فقد جاءت هذه الآية تحكي فتنة سليمان عليه السلام، في الملك والسلطان، مؤكدة بالقسم المقدر واللام المؤكدة للقسم وقد، ولم يبين سبحانه هذه الفتنة لا عينها ولا نوعها، فينبغي أن نقف عما أبهمه الله وأجمله، ولكن جاء الحديث عن توبته فيها موضحاً، بطلب العفو منه سبحانه والتجاوز عن الزلل[3]:

﴿ثُمَّ أَنَابَ ٣٤قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ

---

[1] تفسير ابن كثير(7/ 56).

[2] وقيل إن المراد أنه شرع يمسح سوقها وأعناقها، ذهب إلى ذلك ابن جرير في تفسيره، جامع البيان(196/21)، وسياق الكلام يدل على أن الصحيح ما ذكرنا في المتن، فإنه ذكر أنه آثرها على ذكر ربه حتى فاتته صلاة العصر، ثم أمر بردها ليعاقب نفسه بإفساد ما ألهاه عن ذلك.

[3] ينظر: جامع البيان(196/21)، النكت والعيون (5/ 92)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (7/ 225)، تيسير الكريم الرحمن (ص: 712)، التفسير القرآني للقرآن (12/ 1080)، تفسير العثيمين (8/ 626).

٣٥﴾[ص:34 ـ 35]، ثم قبول الله لتوبته والعفو عن زلته[1]: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾[ص:36ـ 40].

شذرات في اعتذار سليمان عليه السلام:

1. أن اعتذار سليمان عليه السلام له صلة وثيقة باعتذار داود عليهما السلام، فقد جاء ذكره بعد ذكر أبيه، ووصفا جميعاً بصفة (الأواب)، إشارة إلى أنهما على درجة واحدة من الاتصال بربهم، والرجوع إليه دائما، ثم إنه إشارة إلى أن سليمان سيقع منه ما وقع لأبيه من فتنة وابتلاء، ثم من استغفار وندم، ثم من توبة وقبول من الله، وعطاء جزل عظيم من رب العالمين.
2. حينما أدرك سليمان عليه السلام أن الخيل أشغلته عن ذكر ربه قدم اعترافه و أظهر ندمه، اعتذاراً لله عز وجل: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾[ص:32].
3. أضاف سليمان عليه السلام في اعتذاره لفظ الربوبية لله تعالى﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾، استعطافاً منه لربه سبحانه، حيث أذعن له بالربوبية التي تقتضي أن يكون مشغولاً بذكره سبحانه وتعالى.

---

[1] أورد بعض المفسرين آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف وأكثرها أو كلها متلقاة من الاسرائيليات، وفي كثير منها نكارة شديدة، وأصح ما قيل في ذلك ما جاء في معنى الحديث المتفق عليه، عن عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:(قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل، ولم تحمل شيئا إلا واحدا، ساقطا أحد شقيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو قالها لجاهدوا في سبيل الله) رواه البخاري(3424)، ورواه مسلم(1654) ذلك أن فتنة سليمان كانت بسبب تركه قوله «إن شاء الله» ، وأنه لم يلد من تلك النساء إلا واحدة نصف إنسان، وأن ذلك الجسد الذي هو نصف إنسان هو الذي ألقي على كرسيه بعد موته، وهو ما جاء في معنى الفتنة، ذهب إلى هذا القول الشنقيطي في أضواء البيان(3/ 254)، والألوسي في روح المعاني(191/12)، و قد ذهب ابن عثيمين في تفسيره إلى ضعف هذا القول، و رجح أقوالاً أخرى ينظر إلى تفسيره(8/ 626) الطبعة المصرية.

4. أن سليمان عليه السلام أمر أن ترد عليه الخيل التي شغلته عن ذكر ربه، فجعل يقطع سوقها وأعناقها لحرمان نفسه منها مع محبته إياها توبة منه وتربية لنفسه، لذلك ضرب مواقع الحسن فيها وهي سوقها وأعناقها، كما تظهر مبادرته في ذلك، لمجيئ فاء التعقيب بعد الأمر بردها﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣﴾.

5. يفهم من فعل سليمان عليه السلام أنه يجوز أن يتبع المعتذر اعتذاره بإتلاف ما أشغله و صده عن الإتيان بما أمر الله به، توبةً لله و تربية لنفسه، كما أنه جاء في بعض التفاسير أنه ذبحها وتصدق بلحمها، وسواء ثبت ذلك أو لم يثبت، فإنه يجوز أن يتلفها غضباً لله، هذا وقد ثبت في السنة اتباع التوبة والاعتذار بالصدقة لله عز وجل، كما جاء في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك)، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر.[1]

6. إعادة الابتلاء والامتحان من الله عز وجل لعبده سليمان عليه السلام في شأن يتعلق بتصرفاته في الملك والسلطان، كما يبتلي الله أنبياءه ليوجههم ويرشدهم، حينها يدرك سليمان عليه السلام خطأه وينيب إلى ربه ويعتذر إليه مرة أخرى، ويطلب المغفرة ويتجه إلى الله بالدعاء والرجاء، وهذا شأن عباد الله المخلصين الأوابين.

7. في اعتذار سليمان عليه السلام تتمثل القاعدة المشهورة "من ترك شيئا لله

---

[1] الحديث: رواه البخاري في صحيحه (4418)، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك و قول الله عز و جل(و على الثلاثة الذين خلفوا)(التوبة:118) (6/ 7)، ومسلم في صحيحه(2769)، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك و صاحبيه (4/ 2127).

عوضه الله خيرا منه" فسليمان عليه السلام عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديما لمحبة الله، فعوضه الله خيرا من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد، وسخر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون.

8. أن الأنبياء عليهم السلام معنيون أكثر برضى الله سبحانه، وبأمور الآخرة، لذا طلب سليمان عليه السلام العفو والمغفرة من الله قبل أن يطلب الملك.

9. أن العبد إذا صدق في التوبة والاعتذار من الله، له أن يسأله ما يشاء من الدنيا بعد سؤال العفو، كما حدث لسليمان عليه السلام حينما ابتلاه الله بملكه، ثم أناب بعدها وسأل الله أن يهبه ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فاستجاب الله له ووهبه ملكاً لم يهبه أحداً من قبله ولا بعده، سبحان الكريم الوهاب.

10 أن التوبة والاعتذار كما أنها سبب في القرب من الله تعالى في الدنيا، فهما سبب في القرب من الله في الآخرة، كما خص الله عز وجل داود وسليمان عليهم السلام بذلك بعد أن ذكر صفة الأوبة لهم: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾، كما أنها إشارة إلى أن الله إذا غفر لعباده الصادقين الأوابين أزال الآثار المترتبة على الذنب، حتى ما يقع في قلوب الخلق، فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى، فأزال الله هذه الآثار، و ما ذلك بعزيز على الكريم الغفار.

11 أن ما ذكر من توبة سليمان عليه السلام لم يخل من مقاصد الائتساء و العبرة، كعادة القرآن في ابتدار وسائل الإرشاد بالترغيب والترهيب، فكانت الآيات المتعلقة بندمه على الاشتغال بالخيل عن ذكر الله موقع أسوة به في مبادرة التوبة، وكذلك جاءت الآيات المشيرة إلى الفتنة التي عرضت لسليمان أعقبتها إنابة ثم أعقبتها إفاضة نعم عظيمة.